جامــعة واســط
مجلـــــة كليـــــة التربيـــة

العدد الثاني والأربعون
الجزء الثاني/شباط/٢٠٢١

الدروس العقائديّة المُستفادة من الحوار النبوي مع غير المُسلمين

م.د. عبد الجبار عبد الستار عبد الكريم
كلية الامام الأعظم (رحمه الله) الجامعة / ديالى
ali.abd505@gmail.com

الملخص

عادةً ما تحاول الأمم التمسك ببعض المبادئ الإنسانية العامة التي تعتبر المادة الأولية لبناء الحضارات وتطور المجتمعات البشرية، ولعل الحوار كمنهج لتلاقح العقول وتبادل المعارف والحقائق بين الناس من أكثر تلك المبادئ أهمية وقيمة، ومن هذا المنطلق استحوذ الحوار على اهتمام العلماء والمفكرين والمصلحين منذ القدم وحتى الآن. لقد اتبع الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أسلوب الحوار مع المشركين واهل الكتاب للوصول بهم إلى بر الإيمان، وان إتباعه صلى الله عليه وسلم لأسلوب الحوار مع المشركين وغيرهم كان بأمر من الله تعالى، مما يشير إلى أن الحوار مبدأ راسخ في الإسلام، ومنهاج أصيل للتواصل مع كل من يرغب في فهم هذا الدين، وتمثل السيرة النبوية التطبيق العملي للحوار مع أهل الكتاب والمشركين.

Doctrinal lessons learned from the prophetic dialogue with non-Muslims

Dr. AbdlJabar AbdlSatar AbdlKarem
Imam Al-Aazam College / Diyala

Summary

Nations usually try to adhere to some general human principles that are considered the primary material for building civilizations and the development of human societies, and perhaps dialogue as a method for cross-pollinating minds and exchanging knowledge and facts among people is one of the most important and valuable of these principles, and from this standpoint the dialogue has captured the interest of scholars, thinkers and reformers since ancient times until now. .

The Holy Prophet Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, followed the method of dialogue with the polytheists and the people of the

Book to bring them to the righteousness of faith, and his followers, may God bless him and grant him peace, to the method of dialogue with the polytheists and others was ordered by God Almighty, which indicates that dialogue is an established principle in Islam, and an authentic method for communication With everyone who wants to understand this religion, and the Prophet's biography represents the practical application of dialogue with the People of the Book and the polytheists.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الحوار منهجاً تربوياً للمدرسة الإسلامية الكبرى، والصلاة والسلام على مربي البشرية الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي امتثل لأمر ربه، فحاور أصحابه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادل أهل الشرك بالتي هي أحسن، فكانت نتيجة هذا الحوار وهذه المجادلة أن دخل الناس في دين الله أفواجا.

وإن من أبرز المزايا التي اختص بها الحوار التربوي الإسلامي عالمية الحوار المستمدة من عالمية الدين الإسلامي، فقد أكد هذا رب العزة في محكم تنزيله إذ قال: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣] أي ليعرف بعضكم بعضاً من خلال التحاور المؤدي إلى التعارف والتحاب بين بني البشر فالحوار بهذا المعنى ظاهرة إنسانية عالمية، وضرورة حياتية يبررها التفاوت البشري في العقول والأفهام والأمزجة، فقد قال تعالى مؤكداً هذا التفاوت والاختلاف: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

فكان هذا سببا في اختيار عنوان بحثي الموسوم (الدروس العقائديّة المُستفادة من الحوار النبوي مع غير المُسلمين)

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق المقاصد التالية:

- استنتاج أهم الدلائل النبوية للحوار في السنة النبوية لإثبات العقيدة التي جاء بها انبياء الله تعالى عليهم السلام.
- بيان أهداف الحوار النبوي في السنة النبوية.
- توضيح أهم أنواع الحوار النبوي في السنة النبوية الشريفة.
- تتبع أهم القيم النبوية التي استند عليها الحوار النبوي في السنة النبوية.
- الوقوف على أهم التطبيقات النبوية للحوار التربوي في السنة النبوية الشريفة.

منهجية الدراسة:

بما أن هذه الدراسة تتناول موضوع الحوار النبوي في السنة النبوية ودلالاته العقائدية، فإن المنهج الوصفي التحليلي هو المنهج المناسب لهذه الدراسة، حيث سأقوم بوصف وتحليل أهم الحوارات النبوية التي دارت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبينه وبين المشركين وأهل الكتاب للتوصل إلى أهم الدلائل النبوية التي تضمنتها تلك الحوارات العقدية.

خطة البحث:

وتتضمن مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الحوار وتوابعه وفيه خمسة مطالب

المبحث الثاني: الحوار النبوي مع غير المسلمين وفيه ثلاثة مطالب

ثم خاتمة بما توصلت اليه من نتائج في البحث.

واسال الله العلي العظيم ان يعينني على ان أكمله بالشكل الذي يرضيه عني، وهو القادر على ذلك.

المبحث الأول: مفهوم الحوار وتوابعه

المطلب الاول: تعريف الحوار

تعريف الحوار لغة

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة:" الحاء والواو والراء ثلاثة أصول، أحدها: لون، والآخر: الرجوع، والثالث: أن يدور الشيء دوراً .... أما الرجوع فيقال حار إلى رجع، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ (١).

وقال ابن منظور في لسان العرب: "الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وفي الحديث: (من دعا رجل بالكفر وليس كذلك، حار عليه) أي رجع.

قال لبيد:

والحور إلى كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب، وتقول كلمته: فما أحر إلى جواباً، وما رجع إليَّ حويراً لا حويرة، ولا محورة ولا حواراً أي ما رد جواباً.

واستحره: أي استنطقه.

وأصل الحوار: الرجوع إلى النقص.

وهم يتحاورون: أي يتراجعون الكلام.

والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وقد حاوره، والمحاورة مصدر كالمشورة في المشاورة"(٢).

وقال الفيروز آبادي: "المُحاورة والمَحْورة والمَحُورة: الجواب كالحوير والحوار ويكسر، والحيرة والحُيرة: مراجعة النطق، وتحاوراً: ترجعاً الكلام بينهم"(٣).

إذاً فالحوار هو تراجع الكلام والتجاوب فيه وقد ورد في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

الأول: في قصة أصحاب الجنة: ﴿كَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤].

الثاني: في نفس القصة: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧].

الثالث: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١].

ويفهم من هذه المواضع الثلاثة: أن الحوار مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين(٤).

أما إطلاقه في السنة فقد جاء في عدة أحاديث منها قوله ﷺ: (ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلى حار عليه) (٥).

قال النووي: حار عليه وهو معي رجعت عليه، أي رجع الآخر عليه فباء وحار ورجع بمعنى واحد(٦).

تعريف الحوار اصطلاحاً:

له عدة تعاريف منها: "مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين"(٧)، وعرفه بعضهم بأنه "نوع في الحديث شخصين، أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب، وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه"(٨).

المطلب الثاني: الفرق بين الحوار والجدال

الجدال: مأخوذ من "الجدل، وهو شدة الفتك، فالجديل الزمام، والمجدول من آدم ومنه قول امرئ القيس:

وكشح لطيف كالجديل مخصراً وساق كأنبوب السقي المذلل

والجادل من الإبل الذي قوي ومشى مع أمه، والأجدل الصقر، ورجل جدل إذا كان قوي الخصام(٩).

إذاً: فأصل كلمة الجدل في اللغة تدل على القوة والشدة ويقصد بالجدل شدة الخصومة.

والجدل الاصطلاحي: هو "دفع خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة"(١٠).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في المجادلة: "وهي في اصطلاحهم – أي المناطقة – المنازعة، لا لإظهار الحق بل لإلزام الخصم(١١).

فالحوار والجدال يلتقيان في أنهما حديث أو مناقشة بين طرفين لكنهما يفترقا بعد ذلك.

أما الجدال فهو على الأغلب الرد في الخصومة وما يتصل بذلك، ولكن في إطار التخاصم في الكلام، فالجدال والمجادلة والجدل، كل ذلك ينحو منحى الخصومة ولو بمعنى العناد والتمسك بالرأي والتعصب له(١٢).

وفي القرآن ما يدل على هذا الفرق، فقد ورد لفظ الجدل في القرآن الكريم تسعة وعشرين مرة كلها في سياق الذم، إلا في ثلاثة مواضع وهي: قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ **[العنكبوت: ٤٦] وقوله تعالى:** ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١].

أما بقية المواضع في القرآن الكريم فإما أن تكون في سياق عدم الرضا عند الجدال وإما عدم جدواه، أو لأنه يفتقد شروطاً أساسية كطلب الحق أو الجدال بغير علم أو يطلقه الكفار على الرسل كما قال تعالى: ﴿قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: ٣٢] فالجدل لم يؤمر ولم يمدح في القرآن الكريم على الإطلاق، وإنما قيد بالحسنى كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] (١٣).

فلفظة الجدل مذمومة إلا إذا قيدت ومما يؤكد ذلك ما صح عن النبي ﷺ: (ما ضل قوم بعد هدى كان عليه إلا أتوا الجدل، ثم قرأ الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] (١٤).

المطلب الثالث: الفرق بين الحوار والمناظرة

هناك توافق بين الحوار والمناظرة إذ أن المناظرة نوع من أنواع الحوار، ولكن عند الرجوع إلى تعريف المناظرة يتضح أنها تعتمد على الدقة العلمية، والشروط المنطقية، أكثر من اعتماد الحوار على ذلك، فالمناظرة مشتقة في أصل اللغة من "النظير أو من النظر"(١٥).

وفي الاصطلاح: "علم يبحث عن أحوال المتخاصمين، يكون ترتيب البحث بينهما على وجه الصواب حتى يظهر الحق بينهما"(١٦).

ولذلك يمكن القول إن الحوار غير المناظرة، وهي تقوم على وجود التضاد بين المتناظرين، للاستدلال على إثبات أمر يتخاصمان فيه نفياً أو إيجاباً بغية الوصول إلى الصواب(١٧).

المطلب الرابع: الفرق بين الحوار والمناقشة

النقاش في اللغة معناه: النقش والنزع(١٨). وقد جاء في الحديث: (إذا شيك فلا انتقش)(١٩) أي فلا نزعت منه الشوكة.

ويأتي النقاش أيضاً بمعنى: المحاسبة والاستقصاء ومنه الحديث: (مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ)(٢٠).

فالمناقشة هي نوع من التحاور بين شخصين أو طرفين ولكنها تقوم على أساس استقصاء الحساب، وتعرية الأخطاء، وإحصائها، ويكون هذا الاستقصاء في العادة لمصلحة أحد الطرفين فقط، الذي يستقصي محصياً ومستوعباً كل ما له على الطرف الآخر(٢١).

المطلب الخامس: غاية الحوار

ان الغاية من الحوار إقامة الحجة ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي، فهو تعاون بين المتناظرين على معرفة الحقيقة، والتوصل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق، يقول الحافظ الذهبي: "إني وضعت المناظرة لكشف الحق وإفادة العالم الأذكى العلم لمن هو دونه وتنبيه الأغفل الأضعف".

وهذه هي الغاية الأصلية وهي جلية بينة، وثمة غايات وأهداف فرعية أو ممهدة لهذه الغاية منها:

- إيجاد حل وسط يرضي الطرفين.
- التعرف على وجهات النظر وهو هدف تمهيدي هام.

فالبحث والتنقيب من أجل الاستقصاء والاستقراء في تنوع الرؤى والتصورات المتاحة، من أجل الوصول إلى نتائج أفضل وأمكن ولو في حوارات تالية(٢٢).

والبعد عن الحوار الذي أبعد ما يكون عن غايته أو ما يوصل ويمهد إليها، وقال الدكتور محسن الخضيري: "يجب أن يكون الحوار متجهاً إلى هدف معين، يسعى إلى تحقيقه، وبالتالي يكون بعيداً عن الجدل العقيم الذي لا يثري، بل والذي لا يحقق عائداً وطائلاً من ورائه، ومن ثم فإنه من المتعين وضع الهدف من التفاوض وتوضيحه، ووضع برنامج زمني لتحقيقه، بل وتحديد اتجاهات معينة لهذا التحقيق[٢٣].

ومتى بعد الحوار عن غايته وشغل عن ظهور الحق، ووضوح الصواب صار من الجدل العقيم، الذي وردت النصوص في النهي عنه والتحذير منه، حتى أن الذهبي عد هذا النوع من الكبائر في كتابه[٢٤].

المبحث الثاني: الحوار النبوي مع غير المسلمين

المطلب الاول: الحوار النبوي مع مشركي مكة

إن من أهم مقاصد الحوار النبوي وغاياته إثبات الحجة على المشركين للاعتراف بضرورة الإيمان بالله وتوحيده، والاعتراف باليوم الآخر وبرسالة وصدق أقوال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وببطلان آلهتهم. ولعل الحوار الجدلي الذي دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم والوليد بن المغيرة خير شاهد على ذلك فعن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبو جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا، فقال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض ما قيله، فقال: قد علمت قريش أني أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا قصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه يعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣)﴾ [المدثر: ١١ – ١٣] [٢٥].

ونجد في سيرة الرسول ﷺ نماذج كثيرة متنوعة للحوار، وترد في أشكال شتى لتقدم لنا الدروس التي يحسن بنا الانتفاع بها.

فحين جهر رسول الله ﷺ بالدعوة، حارت قريش وارتبكت وفكرت ودبرت، وكان مما صنعته أنها أرسلت عتبة بن ربيعة إليه، يحادثه ويفاوضه ويغريه.

فيروى[٢٦] أن عتبة بن ربيعة جلس إلى رسول الله ﷺ فقال له يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم، وكفرت به فيما مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك بعضها.

فقال رسول الله ﷺ قل يا أبا الوليد، أسمع، فقال له عتبة ما قال، حتى إذا فرغ قال له: أوقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم.

قال فاسمع مني، قال: افعل، فأخذ رسول الله ﷺ يتلو عليه من سورة فصلت حتى إذا انتهى إلى الآية موضع السجدة فيها، سجد، ثم قال لعتبة: قد سمعت يا أبا الوليد، فأنت وذلك، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بوجه غير الوجه الذي ذهب به، وطلب عتبة إليهم أن يدعوا الرسول ﷺ وشأنه، فأبوا وقالوا له: سحرك يا أبا الوليد بلسانه.

وفي هذه القصة أكثر من درس، فيما يتصل بموضوع هذا البحث يحسن الوقوف عندها، فالرسول الكريم أحسن الاستماع والإنصات لعتبة، وقال له قل يا أبا الوليد، أسمع، فلما قال عتبة ما عنده أعطاه الرسول ﷺ الفرصة لإضافة شيء قد يود أن يقوله، ربما نسيه أو غفل عنه، وسأله أوقد فرغت يا أبا الوليد؟ ومعنى ذلك أنه أحسن الاستماع تماماً، وأعطى محدثه الفرصة ليقول من جديد دون أن يعاجله، فلما سأله ليتأكد من فراغه مما لديه، بدأ التلاوة وهذه قمة الأدب، وقمة الذوق، مما يجعل الطرف الآخر تنفتح نفسه للسماع، فكانت تلك المقدمة محددة لما جاء بعدها من تلاوة القرآن الكريم، لتنتهي بسجدة، ثم قال لعتبة: قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذلك، (أي وما تختار) ففي تصرفه عليه الصلاة والسلام أدب عال وذوق جم وحسن استماع، يستدعي حسن إصغاء من عتبة، وهذا كله يجعل عتبة مستعداً للتلقي، لذلك لا غرابة أن قال له قومه بعد إذ عاد إليهم: سحرك يا أبا الوليد بلسانه[٢٧].

المطلب الثاني: الحوار النبوي مع أهل الكتاب

أولاً: الحوار النبوي مع النصارى

تشير كتب السيرة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم حاور نصارى العرب والعجم من خلال الكتب التي أرسلها إلى عدد منهم يدعوهم فيها إلى الإسلام، فقد كتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك الحبشة، وإلى هرقل ملك الروم، وكتب إلى المقوقس ملك الإسكندرية، وإلى المنذر بن ساوى وغسان ملك الشام، وهم جميعاً كانوا نصارى على اختلاف مذاهبهم ومللهم، فقد كانت هذه الكتب بمثابة المحاورة والمجادلة بالتي هي أحسن، نتج عنها أن وفدت الوفود الكثيرة من النصارى إلى المدينة تجادل الرسول صلى الله عليه وسلم في الإسلام وفي النصرانية وفي عيسى ابن مريم. مثل

وفد نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقد جاءوا إلى المدينة المنورة ودخلوا المسجد حين صلى رسول الله العصر، وعليهم ثياب الحبرات يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ: " ما رأينا وفداً مثلهم". وقد حانت صلاتهم فأقبلوا يضربون الناقوس وصلوا، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هذا في مسجدك فقال: دعوهم، فصلوا إلى المشرق. فلما فرغوا دنوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إلام تدعو؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث فقالوا: ومن أبوه؟ فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: ما تقولون في آدم أكان عبداً يأكل ويشرب ويحدث ويتزوج؟ قالوا: نعم. قال: فمن أبوه؟ وأنزل الله سبحانه ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠)﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠] ثم سألوه وسألهم وكان ذلك في جو من الحرية والصفاء ثم وصل بهم الحوار إلى أن دعاهم رسول الله إلى المباهلة؛ وهي دعوة الأبناء والنساء والجميع، والتوجه إلى الله سبحانه بطلب اللعنة على الكاذبين، وذلك في قوله تعالى ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

قال ابن هشام[٢٨]: فلما أتى رسول الله الخبر من الله عنهم، والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك. فقالوا له: يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما تريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وهو رئيسهم وصاحب رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لاعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم. فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا ألا نلاعنك، وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا؛ فإنكم عندنا رضاً، فقال صلى الله عليه وسلم: ائتوني العشية فأبعث معكم القوي الأمين، فبعث فيهم أبا عبيدة عامر بن الجراح [٢٩] .

فقد اثبت النبي صلى الله عليه وسلم بحواره معهم من أمور العقيدة ما يلي:

- وحدانية الله ولا ولد له.
- نبوة عيسى عليه السلام وبشريته كسائر الخلق

ثانياً: الحوار النبوي مع اليهود

لم يكن حوار رسول الله مقتصراً على النصارى من أهل الكتاب، بل تعدى ذلك إلى اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة المنورة، فقد جادلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتي هي أحسن، فعلى خداعهم ونقضهم للعهود مع المسلمين وتدبيرهم المكائد للقضاء على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه، إلا أن الرسول قابل مساوئهم وإيذاءهم بالمحاورة القائمة على اللين والرفق والمنطق العقلي، ومن الأمثلة على ذلك الجدال والحوار العقلاني مع اليهود ما رواه الإمام مسلم في صحيحه(٣٠) أنه مر على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمماً مجلوداً. فدعاهم صلى الله عليه وسلم فقال: "هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟" قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم. فقال: "أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ "قال: لا. ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك. نجده الرجم. ولكنه كثر في أشرافنا. فكنا، إذا أخذنا الشريف تركناه. وإذا أخذنا الضعيف، أقمنا عليه الحد. قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع. فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه" فأمر به فرجم. فأنزل الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١] الى "إن أوتيتم هذا فخذوه" يقول ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه. وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وعن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء يهود فقال: "ما تجدون في التوراة على من زنى؟" قالوا: نسود وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجوههما. ويطاف بهما. قال: "فأتوا بالتوراة. إن كنتم صادقين " فجاؤوا بها فقرؤوها حتى إذا مروا بآية الرجم، وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم. وقرأ ما بين يديها وما وراءها. فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: مره فليرفع يده. فرفعها. فإذا تحتها آية الرجم. فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما(٣١) .

فاستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب الحوار التربوي القائم على الإقناع وإقامة الحجج والبراهين العقلية مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى(٣٢).

المطلب الثالث: الحوار النبوي مع المنافقين

لقد لقي النبي عليه الصلاة والسلام من المنافقين ما تشيب منه النواصي من المواقف الدنيئة، والأفعال السيئة.

ومع ذلك فقد كان عليه الصلاة والسلام يعاملهم بما يشبه معاملة المهتدين من المسلمين من الرحمة والرفق، ومعاملة الإساءة بالعفو أو الإحسان، وكان يحاورهم بألطف المحاورة، ويحملهم على ظواهرهم، دون بحث عما تكنه سرائرهم، وتنطوي عليهم دخائل نفوسهم، ويشهد لذلك حوادث كثيرة، ولعل أجلاها ما كان من أمره مع رأس المنافقين عبد الله بن أُبَي بن سلول.

فعن أسامة بن زيد أن نبي الله صلى الله عليه وسلم (ركب على حمار على قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث من الخزرج قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلسٍ فيه عبد الله بن أبي قبل أن يسلم عبد الله ابن أبي فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غَشِيَتِ المجلسَ عجاجةُ الدابةِ خَمَّر عبدُالله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله ابن أبي بن سلول: أيها المرء! إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال: عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي يُخَفِّضُهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي دابته، حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النبي: يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب – يريد عبد الله بن أبي– قال: كذا وكذا.

قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة –يثرب– التي صارت المدينة وطيبة على أن يتوِّجوه فَيُعَصِّبوه بالعصابة، أي: يتوجوا عبد الله بن أبي ملكاً عليهم، فلما أبى الله ذلك، فاتت الفرصة على عبد الله ابن أُبَي، وفاته الملك للإسلام الذي جاء؛ فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شَرِقَ بذلك، أي: غص به وكرهه، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله)[٣٣].

فهذا الحديث من أعظم ما يكون من أمثلة التعامل مع المخالف. فكيف اسْتُقْبِلَ عليه الصلاة والسلام بذلك الاستقبال الفاتر الذي لا يليق بأحط الناس فكيف بخير الناس، حيث غطى ابن أبي أنفه بردائه إشارة إلى الكراهية.

فتأمل هذا الأدب الرفيع، وهذه النفس الكبيرة، وذلك القلب المفعم بالحب والعدل والإحسان، لم يقل: ألم تسمع ما قال ذلك الأشقى، أو الألد، أو غيرها من الألفاظ التي تليق بعبدالله بن أبي، بل لم يُسَمِّه باسمه المجرد، ولم يقل: ابن أبيٍّ، وفي ذلك عدل وإقساط(٣٤).

وإنما ارتقى؛ ليفصح عما هو أعظم من ذلك، وليبين مدى تسامحه، ورقته، ورأفته، وسلامة صدره، وترفعه؛ فَكَنَّاه بكنيته وقال: أبو حباب.

والكنية المحببة إلى الإنسان هي ما يسره؛ ولا يقولها من في نفسه غضب أو غضاضة، ومع ذلك كناه بكنيته المحببة إليه، مع أن ابن أبيَّ ناداه بـ:(يا أيها المرء)

ثم تأمل ما كان من الصحابي الجليل سعد بن عبادة؛ حيث لمح تأثر النبي وأدرك سَعَةَ نفسه، وكِبَرَ قلبِه بتكنيته ابن أبي، فأراد تسليته وطلبَ العفو منه؛ فطابت نفسه عليه الصلاة والسلام وعفا عن ابن أبي.

وهل صار لذلك الحوار، وتلك الإساءة من ابن أبي أثر في نفس النبي وهل قطع إحسانه عنه؟ أو جعلها ذريعة للوقيعة فيه؟

وهل توقف ابن أبي عن مخازيه؟ فهو الذي آذى النبي أيما أذية؛ حيث آذاه في بيته كما في قصة الإفك –فهو الذي تولى كبره، وأشاع قالة السوء عن عائشة رضي الله عنها.

وهو الذي رجع بمن تبعه من الطريق يوم أحد، فخذل النبي صلى الله عليه وسلم في أحرج أوقاته، وهو الذي قال: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨](٣٥).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فمما تقدم من العرض السابق هو رؤيتي حول هذا الموضوع، وفي ختامه لابد من الإشارة إلى أهم النتائج والتوصيات وهي على النحو التالي:

أولاً: النتائج:

– أن عبارة (الحوار النبوي مع غير المسلمين) عام يتضمن صورا وأشكالا متعددة تختلف في مدلولها من معنى لآخر، ولهذا فإن أحكامها تختلف تبعا لذلك.

– أن (الحوار النبوي) بمعنى التداول للحديث والمناقشة والمجادلة يشمل ما دار بين الأنبياء وأهل الأديان من حوارات تدور حول الدعوة والمجادلة والمباهلة والبراءة.

– أن المعنى الاصطلاحي للحوار الآن مخالف لمناهج الأنبياء في حواراتهم لأقوامهم.

– إن الحوار بين الأديان الموجودة متنوع، منه حوار الدعوة والتعايش والتقارب والوحدة والتوحيد ولكل واحد خصائصه وأحكامه.

– أن حوار التعايش منه الحق والصواب، وهو الموافق لمعنى البر والإحسان بضوابطه الشرعية، ومنه الباطل الذي يتضمن موالاتهم وانكار بعض الأحكام الشرعية، مثل الجهاد وحد الردة وبغض الكافرين ونحوه.

– أن حوار التقارب يتضمن أمورا مخالفة ومناقضة لمنهج الأنبياء في الدعوة والحوار، مثل اعتقاد إيمان الطرف الآخر وغيرها مما تقدم.

– أن الحوار النبوي مع غير المسلمين تناول اصول العقيدة التي جاء بها الانبياء والتي تمثل اهم اصولها الثلاث (الالهيات، النبوات، اليوم الاخر) والتي ذكرنا عليها امثلة في ثنايا البحث.

ثانياً: التوصيات:

– كشف أشكال الحوارات الباطلة، وبيان عدم انسجامها مع العقيدة الصحيحة، في دراسات وأبحاث متنوعة.

– إيضاح الأبعاد والأهداف السياسية للحوار، واستعمال الأديان وسائل لتحقيق مآرب سياسية معينة.

– إنشاء مراكز لحوار الأديان والحضارات، تظهر المفهوم الصحيح وتبطل المفاهيم الباطلة في هذا الصدد.

وهذا ما وفقني الله تعالى في كتابة هذا الموضوع، فان اصبت فمن الله تعالى وان اخطأت فمن نفسي والشيطان، فله الحمد اولا واخرا.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١– أبجد العلوم، صديق القنوجي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢– أدب الدين والدنيا: أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (٤٥٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٧٨م.

٣– أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن حميد، دار المنار، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٤– الإنصاف للباقلاني، طباعة مؤسسة الخانجي (تحقيق الشيخ الكوثري) ١٩٦٣م.

٥– التعريفات، علي الجرجاني، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٦– الجامع الكبير – سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (٢٧٩هـ) المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي –بيروت، ١٩٩٨م.

٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٨- حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، تحقيق الدكتور: علي جمعة محمد الشافعي، دار السلام للطباعة والنشر – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٩- الحوار آدابه وضوابطه، يحيى زمزمي، دار التراث والتربية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٠- الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد الصويان، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١١- الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داود عجك، دار قتيبة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٢- الحوار لغة القرآن الكريم والسنة النبوية: إبراهيم أحمد الوقفي

١٣- الحوار مع أهل الكتاب، خالد القاسم، دار المسلم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٤- رسالة التوحيد للطائي. ابو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني الطائي.

١٥- رسائل العدل والتوحيد للإمام يحيى بن الحسين (تحقيق: محمد عمارة) مطبعة دار الهلال.

١٦- السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

١٧- شرح الخريدة البهية في علم التوحيد: الشيخ أحمد بن محمد العدوي الشهير بـ(الدردير) تحقيق وتعليق: الاستاذ عبد السلام عبد الهادي شنار.

١٨- الشريعة: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (٣٦٠هـ) المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي. دار الوطن – الرياض. الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م

١٩- صحيح مسلم بشرح النووي، علي عبد الحميد، دار الخير.

٢٠- في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي. جدة.

٢١- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٢٢- القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٤٢٤هـ.

٢٣- الكبائر للذهبي، بسام الحابي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٢٤- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر –بيروت، الطبعة الأولى.

٢٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي –بيروت.

٢٦- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: الاولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٧- المقالات للأشعري، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٤م.

الهوامش

(١) معجم مقاييس اللغة (ص: ٢٦٩).

(٢) لسان العرب (٤/٢١٧-٢١٩).

(٣) القاموس المحيط (ص: ٣٨١).

(٤) في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي (ص: ١٥).

(٥) صحيح مسلم (١/ ٧٩).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٥٠).

(٧) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى زمزمي (ص: ٢٢).

(٨) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى زمزمي (ص: ٢٢).

(٩) لسان العرب، ابن منظور (١١/١٠٣-١٠٥).

(١٠) التعريفات، علي الجرجاني (ص: ١٠٦).

(١١) الحوار آدابه وضوابطه، يحيى زمزمي (ص: ٢٣).

(١٢) في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص: ١٤.

(١٣) الحوار مع أهل الكتاب، خالد القاسم (ص: ١٠٥).

(١٤) الشريعة للآجري (١/ ٤٣١) وجامع الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الزخرف حديث رقم (٣٣٢٣).

(١٥) الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داود عجك (ص: ٢١).

(١٦) ابجد العلوم، صديق القنوجي (ص: ٥٢٤).

(١٧) الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داود عجك (ص: ٢١).

(١٨) القاموس المحيط (ص: ٦٨٠).

(١٩) صحيح البخاري (٤/ ٣٥).

(٢٠) صحيح البخاري (١/ ٣٢).

(٢١) ينظر: الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داود عجك (ص: ٢٢).

(٢٢) ينظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن حميد (ص: ٧).

(٢٣) ينظر: الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد الصويان (ص: ٦٦).

(٢٤) الكبائر، الذهبي (ص: ١٤٩).

(٢٥) الحوار لغة القرآن الكريم والسنة النبوية (ص: ١٩٩٣).

(٢٦) سيرة ابن هشام (١/٣١٣).

(٢٧) ينظر: شرح الجوهرة للباجوري (ص: ١٦٨) ورسالة التوحيد للطائي (ص:١٢٧).
(٢٨) سيرة ابن هشام (١/ ٥٨٣).
(٢٩) أدب الحوار (ص: ١٩٩٥).
(٣٠) صحيح مسلم (٣/ ١٣٢٧)
(٣١) صحيح مسلم (٣/ ١٣٢٦).
(٣٢) ينظر: شرح الخريدة للدردير (ص:٦٢) والانصاف للباقلاني (ص:١٤٤).
(٣٣) صحيح البخاري (٨/ ٤٦).
(٣٤) ينظر: أدب الدين والدنيا للماوردي (ص:١٥٥ – ١٥٨).
(٣٥) ينظر: المقالات للأشعري (٢٩٩/١) ورسائل العدل والتوحيد للإمام يحيى بن الحسين (٩٠/١).